الرياض

مصلحة اليهود ومصلحة أمريكا

حمد بن عبدالله اللحيدان

يقدر عدد اليهود اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية بنحو , 55ملايين نسمة وهم يشكلون حوالي 2% من مجموع عدد السكان وتاريخياً لم يكن يوجد في تلك البلاد حتى عام 1825م سوى عشرة آلاف يهودي وخلال الخمس والسبعين سنة التي تلت ذلك التاريخ ارتفع عدد اليهود ليصل إلى , 250000تقريباً وجلهم من اليهود الألمان ثم تلا ذلك تدفق هائل للهجرة اليهودية إلى أمريكا خصوصاً فيما بين عامي 1881م و1941م وذلك طمعاً بالأرض الجديدة التي جل سكانها مهاجرون. وهجرة اليهود هذه كانت إما هرباً من الأزمات السياسية والفقر أو هرباً من كراهية شعوب أوروبا الوسطى والشرقية لهم. لقد تدفق على أمريكا خلال تلك الفترة أكثر من أربعة ملايين من اليهود الأوروبيين وقد سكنوا عند وصولهم إلى تلك البلاد المدن الشمالية الشرقية الكبرى ولايزالون يحتشدون في تلك المناطق ولا نبالغ إذا قلنا ان عدد اليهود الذين يعيشون في مدينة نيويورك وحدها يربو على , 11مليون نسمة هذا مع العلم أن أعداد متزايدة منهم أخذت تنتقل وتنشر في سائر أرجاء البلاد.

وحيث ان اليهود قد هاجروا إلى أمريكا ولديهم هدف محدد ينشدونه من هجرتهم وهو الوصول إلى عدة أمور منها المال والسلطة والمكانة الاجتماعية وحيث ان الشعب الأمريكي بمجمله شعب مهاجر لا تجمعه نزعة عرقية أو قومية محددة لذلك استفاد اليهود من الحرية والنظم التي تحكمها وحيث ان لليهود وسائلهم المختلفة والعديدة للوصول إلى ما يريدون فإنهم نجحوا أكثر من أية جماعة أخرى مع مهاجري القرن العشرين في الاندماج في ذلك المجتمع المختلط. ولقد أشار إلى ذلك عالم الاجتماع "ستيفن كوهن" أستاذ علم الاجتماع في كلية كويتر في جامعة نيويورك ومركز الدراسات اليهودية الحديثة بجامعة براندیس حيث يقول ان معظم اليهود الأمريكيين قد استطاعوا الوصول بسرعة عجيبة إلى مراكز اجتماعية وقيادية متقدمة خلال العقود القليلة الماضية كما أشار في دراسته إلى أن جميع اليهود ممن هم في سن التعليم الجامعي ملتحقون بالجامعات لذلك فإن أهم المهن المتقدمة تشغل بنسب من اليهود تفوق نسبتهم السكانية. كما تشير دراسات المراقبين إلى انهم خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة واصلوا تقدمهم وخصوصاً في المناصب القيادية مثل رئاسة بعض الشركات والجامعات وامتلاك المحطات الإعلامية وعضوية مجلس الشيوخ والكونجرس واستلام بعض الحقائب الوزارية مثل وزارة الدفاع والخارجية وليس غريبا ان يتم ترشيح يهودي لمنصب نائب الرئيس ناهيك عن استحواذهم على مراكز صنع القرار بصورة مباشرة أو غير مباشرة في كل من البيت الأبيض والبنتاجون والخارجية وتحكمهم بوسائل الإعلام المختلفة والذي لا يملكونه يحاربونه بمالهم وإعلامهم أن خالفهم أو حاول التصدي لهم ومنع غطرستهم. وما الحملة الإعلامية ضد المملكة في الصحف الأمريكية إلا خير دليل على ذلك.

وكل ذلك ناتج عن اندماج وليس انصهار اليهود في المجتمع الأمريكي فهم يحافظون على هويتهم ويستغلون الشعب الأمريكي من خلال الضرائب الباهظة والتي تمس حياة جميع الأمريكيين في مأكلهم ومشربهم وصحتهم لذلك فإن اليهود يشكلون سرطانا في جسم الأمة الأمريكية التي لو استيقظت أو وجدت من يوقظها لأدركت خطورتهم ولا نبالغ إذا قلنا ان أحد الرؤساء الأمريكيين ولعله بنيامين فرانكلين أدرك خطرهم وقرر العمل على طردهم لكن القدر لم يمهله.

وعلى أية حال فإن حركة اليهود الصاعدة والمتمكنة في الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذت إسرائيل منذ أواسط القرن العشرين أساساً للانتماء العاطفي لدى اليهود الأمريكيين سواء كانوا علمانيين أو متدينين أو ارثوذكس أو محافظين أغنياء أو فقراء ديمقراطيين أو جمهوريين ولقد تعززت تلك المشاعر بصورة أكبر بعد انتصار إسرائيل في حرب 1967م على أنه من المؤكد ان الأمر الذي أدى بالمؤسسات اليهودية الأمريكية وعدد كبير من اليهود الأمريكيين إلى تأييد اسرائيل قد استغرق عشرات السنين من التخطيط والإعداد والجهد الذي مكنهم من الإمساك بعنق الزجاجة.

ولقد أدى هذا الجهد المتواصل إلى جعل اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الأقليات الأمريكية تنظيماً على صعيد المؤسسات فهم يملكون اليوم وطبقاً للكتاب السنوي اليهودي الأمريكي أكثر من مئتي منظمة قومية يهودية فلديهم كُنس ومراكز للشباب، ووكالات للعلاقات الطائفية واتحادات ومنظمات تمويل وتنظيمات ثقافية وتعليمية وغيرها من التجمعات مثل عصبة الأمريكيين المناصرين لإسرائيل واللجنة الإسرائيلية الأمريكية لشؤون العامة والكونجرس اليهودي الأمريكي والأساتذة الجامعيين من أجل السلام في الشرق الأوسط ومنظمة سندات دولة إسرائيل وغيرها كثير وقد أشار عالم الاجتماع هارولد وايزبرغ إلى هذا التطور العرقي بقوله: "ان تكون يهودياً هو أن تنضم إلى منظمة يهودية" أي ان الانتماء إلى المنظمات

اليهودية حل محل الطقوس الدينية في كثير من الأحيان. وعلى العموم فإن مختلف أشكال العمل لمناصرة إسرائيل أصبح جزءا من أعمال جميع المنظمات والمؤسسات اليهودية في أمريكا سواء كانت خيرية أو اجتماعية أو تعليمية أو دينية.

ولعلنا نذكر هنا بعض المنظمات اليهودية الفاعلة على سبيل الذكر لا الحصر.

أولاً: المنظمات الصهيونية:

-1المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية.

-2الوكالة اليهودية لإسرائيل.

-3الاتحاد الصهيوني الأمريكي.

-4هداسا.

-5رابطة الصهيونيين الإصلاحيين.

ثانياً: المنظمات الطائفية ومنها:

-1مجلس الاتحادات اليهودية.

-2المجلس الاستشاري لعلاقات الطائفة اليهودية.

-3الكونجرس اليهودي الأمريكي.

ثالثاً: منظمات التمويل:

-1النداء اليهودي المتحد.

-2النداء الإسرائيلي المتحد.

-3اللجنة اليهودية الأمريكية للتوزيع.

-4الصندوق القومي اليهودي.

-5منظمة سندات دولة إسرائيل.

-6الشركة الاقتصادية الإسرائيلية.

-7صندوق اسرائيل الجديد.

رابعاً: اللوبي الموالي لإسرائيل:

-1اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشؤون العامة.

-2لجان العمل السياسي.

-3مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى.

-4المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي.

خامساً: المناطق التي يركزون عليها:

-1الحرم الجامعي.

-2الأساتذة الجامعيون.

-3الكنيسة.

-4الإعلام.

-5الطباعة والنشر.

-6مناطق اتخاذ القرار.

-7الاتحادات المهنية والفنية.

وما تم ذكره ليس إلا قليل من كثير فكما أشرت سابقاً يبلغ عدد المنظمات اليهودية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مئتي منظمة يهودية وإذا رجعنا تاريخياً إلى الوراء نجد أن المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل في سويسرا عام 1897م قد أعلن أن الصهيونية تسعى إلى اقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام واقترح ان يتم تحقيق هذا الهدف عن طريق:

-1استعمار فلسطين بواسطة المزارعين والعمال والصناع.

-2تنظيم جميع اليهود في العالم في هيئات محلية ودولية ملائمة تتوافق مع القوانين المتبعة في كل بلد.

-3تقوية الشعور القومي لدى اليهود.

ومنذ ذلك التاريخ تطور مفهوم الحركة الصهيونية ومحاور اهتمامها طبقاً لمتطلبات المرحلة والامكانات المتاحة وخطط التوسع الإسرائيلي فهم يعقدون مؤتمراتهم بصورة دورية وهذه المؤتمرات تعتمد في قراراتها على ما يصلها من مراكز للدراسات الاستراتيجية والجامعية وغيرها والتي يقوم عليها نخبة النخبة من العلماء والباحثين المنتشرين في جميع أنحاء العالم ناهيك عن اعتمادهم على المخابرات الخاصة والدولية التي تزودهم بخطط واحتمالات المستقبل المتوقعة لكل حركة ينوون القيام بها وليس بمستغرب عليهم أن يطرحوا بعضا من خططهم المستقبلية على شكل قصة أو رواية أو فيلم ثم يبدؤون بتلقي ردود الفعل من العامة والخاصة وكل ذلك يبدو وهمياً حتى يتم التنفيذ على أرض الواقع فيقف من قرأ أو شاهد تلك القصة أو ذلك الفيلم موقف المبهوت لأن لسان حاله سوف يقول ما حدث تم التنبؤ به سلفاً ولم يدر أن ما تم سلفا هو المخطط بعينه والمؤامرة بشحمها ولحمها وربما أدلى برأيه فيه دون أن يدري.

وإذا رجعنا إلى تكوين الشعب الأمريكي في الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن أغلبهم من المسيحيين ذوي الأصول الأوروبية كما يوجد أقليات كثيرة يمكن أن يذكر منها الأمريكيون السود وعددهم كبير والهسبانيك وأقليات من جنوب شرق آسيا مثل الصينيين وغيرهم ناهيك عن وجود جالية عربية صغيرة أما عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية فإنه ربما يقدر بحوالي خمسة ملايين نسمة ولكن دون تنظيم يذكر وهم خليط من الأجناس المختلفة إلا أنه من الملاحظ في السنوات الأخيرة أن أصواتهم بدأت ترتفع وعلى أية حال فلو استطاع العرب والمسلمون الاتجاه إلى التنظيم ووفقاً لما يتطلبه النظام والعرف هناك مع وضع هدف محدد يسعى الجميع إلى تحقيقه مهما اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم لأمكن أن تكون لهم قوة مؤثرة على كل من الرأي العام هناك من خلال العمل السياسي والاجتماعي وعلى الرأي الرسمي من خلال المشاركة الفاعلة في الانتخابات فعددهم ليس قليلا وهو في ازدياد ولو عزز ذلك من خلال الاستثمار في مجال الإعلام ووجدوا من يدعمهم ويقوي شوكتهم لأصبحوا الشوكة التي تورق منظمات بني يهود في أرض الفرص المتاحة لكل قادر على الصمود والعمل الجاد والمنظم. ولا يخفى على كثير ممن يعرفون الوضع هناك أن هناك شريحة كبيرة من الناس تمقت إجحاف اليهود بحق المجتمع الأمريكي فهم يعرفون أن أغلب الضرائب المفروضة عليهم تذهب لدعم إسرائيل بصورة مباشرة وغير مباشرة دون أن يكون من حقهم الاعتراض أو حتى مجرد ابداء الرأي. وهنا لابد وان أشير إلى ان أكبر مستفيد من أحداث 11سبتمبر عام 2001م هم اليهود الذين استغلوا تلك الأحداث لتحجيم دور الجاليات العربية والإسلامية هناك. واستخدام شعار حرب الإرهاب لضرب الشعب الفلسطيني الأعزل وتهديد من يخالفهم الرأي بحرب ضروس فهم لا تهمهم إلا مصالحهم.

إن الامكانات هناك كبيرة ومتاحة لمن يجيد التعامل معها فهل يعي العرب والمسلمون ذلك ويبدو العمل من داخل الولايات المتحدة الأمريكية ووفقاً لنظامها ودستورها وهل يبدأ التخطيط لهجرة منظمة لاعداد من العرب والمسلمين الراغبين في ذلك إلى تلك البلاد لرفع نسبة العرب والمسلمين هناك على أن يؤخذ بعين الاعتبار إعداد من يرغب الهجرة والإقامة هناك الإعداد الجيد وأن تكون له مهمة وهدف يسعى إلى تحقيقه فهل يتحول العرب ولو لمرة واحدة وإلى الأبد من العمل العشوائي الذي هو في الغالب ردة فعل لفعل سبق إلى العمل المنظم الذي يعتمد على الاستقراء وأخذ رأي الخبراء والاعتماد على مراكز الدراسات الاستراتيجية وبرمجة خططهم المستقبلية ولو للعقود القليلة القادمة.

ومن ناحية أخرى فإنني أحب أن أشير إلى أن اليهود ومنذ أكثر من قرن وهم يستقرؤون التاريخ ويبنون الخطط وينفذونها على مراحل لإقامة دولة اسرائيل الكبرى والتي تمتد من النيل إلى الفرات وربما تحكم المصلحة أن تمتد إلى أكثر من ذلك وكذلك يخططون للسيطرة على الحكم والاقتصادي في الدول الأخرى فهم يرون هدفهم واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار فهل يستقرئ العرب تجارب الأمم الأخرى في التخطيط والتمويل ووضوح الهدف وإعداد الخطط وإقناع الشعوب بوجهة نظرهم والنهوض لتشكيل أمة فاعلة يحسب لها ألف حساب بدلاً من الوضع الراهن الذي أصبح فيه العرب يستجدون حقوقهم من المنظمات الدولية غير الفاعلة أو من يتحكم اليهود في أعناقهم دون بصيص أمل أن يعدلوا وذلك لأن هؤلاء لا يحترمون إلا القوي الذي لديه مصلحة لهم فهم يحترمون الفيتناميين والصينيين والكوريين وحتى اليابانيين لأنهم جربوهم فوجدوهم أقوياء يستطيعون أن يقولوا لا متى ما لزم الأمر.

وفي الختام أحب أن أشير وأنوه بالتلاحم الشعبي في العالم العربي مع انتفاضة الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة لشارون وجلاديه، كما لا يفوتنا الإشادة بمقررات مؤتمر القمة الذي كان لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد

نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني - حفظه الله - أكبر الأثر في انجاحه وتقديم المقترحات البناءة التي تدعم صمود الشعب الفلسطيني في أرضه وعلى ترابه وهذا ليس بغريب فهو يعبر عن المواقف البناءة للمملكة العربية السعودية حكومة وشعبا تجاه القضايا العربية والإسلامية فنحن أمة تعودت أن تفعل قبل أن تقول وما التبرعات الشعبية والحكومية السخية إلا خير دليل على ذلك راجين الله أن تكون تلك الجهود نقطة انطلاق نحو آفاق أوسع من التعاون العربي المشترك وأن يكون لدى الجميع ذلك الاحساس العميق والأبوي الذي تضمنته جهود سموه الكريم المستمرة في المحافل الدولية والذي يعبر عن احساس كل الشارع العربي. وفق الله العاملين المخلصين وسدد على طريق الخير خطاهم. والله المستعان.